ثالثا: الاستبدال: (*Substitution*)

الاستبدال عنصر من عناصر السبك النحوي، يتحقق بإحلال كلمة محل أخرى دون أن يترتب على ذلك أدنى تغيير في التركيب، وهو ما يجعل الكلمة المستبدِلة قَسِيمًا للكلمة المستبدَلة لا قِسْمًا منها، حيث إن "الكلمة البديلة تكون لها نفس الوظيفة التركيبية "[1]، وعلى هذا الأساس " شاركت الضمائر الأسماء في الاسمية لأنها تُستبدل بها وتقوم بمثل وظائفها"[2].

يرى هاليداي ورقية حسن أن الاستبدال عملية تتم داخل النص، إنّه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر [3]، وهو من ناحية كالإحالة من حيث أداؤه وظيفة اتساقية بين مكونات النص، إلا أنه يختلف عنها في كونه علاقة تتم في المستوى النحوي- المعجمي بين الكلمات والعبارات، بينما الإحالة تقع في المستوى الدلالي [4]، ومن ناحية ثانية هو كالحذف إذ تربط بينهما علاقة التضمين، فالاستبدال يتضمن الحذف؛ بمعنى أن الحذف يمكن تفسيره باعتباره شكلا من أشكال الاستبدال، أين يكون أي الحذف "استبدالا بالصفر"[5].

أقسام الاستبدال:

يقسم الباحثان هاليداي ورقية حسن الاستبدال على أساس الوظيفة النحوية إلى ثلاثة أقسام:

1. **استبدال اسمي:**

ويتم باستخدام عناصر لغوية اسمية (واحد، نفس، ذات، أخر، وكذا: الضمائر، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة) كما في قوله تعالى:﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾هود 2. فالضمير في (منه) مستبدل من لفظ الجلالة"الله"[6].

2. **استبدال فعلي:**

وفيه يحل فعل محل فعل آخر متقدم، وتمثله مادة "فعل" بصيغها المختلفة ويعبر عنه بالفعل البديل/ الكنائي، حيث يأتي إضمارا لفعل أو حدث أو عبارة فعلية ليحافظ على استمرارية الفعل/ العبارة الفعلية، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ هود 36 فالفعل (يفعلون) استبدال لما ورد من اتهامات في الآيات التي تحمل رد قوم نوح وتطاولهم عليه من أقوال وأفعال[7].

يخاطب ابن هاني المعز لدين الله الفاطمي في معرض الإشادة ببطولاته وما ألحقه بالروم من تقتيل صَوْنًا لثغور المملكة، بقوله [الكامل]

نَفَّلْتَ أَطْرَافَ السّيوفِ قَطِينَهَا عَوْدًا لِبدْءٍ إِنَّ مِثْلَكَ يَفْعَلُ 83/81

أي"قدمت رقاب الروم هدية لسيوفك مرارا وتكرارا"، إشارة إلى وقائع متجددة بصقلية وعلى البحر"[8].

---

[1] - عزة شبل محمد، علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007 ص: 113.

[2] - عادل متّاع، نحو النص اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011 ص: 103.

[3] - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 19.

[4] - نفسه، ص: 19.

[5] - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ، ص: 21.

[6] - عادل متّاع، نحو النص اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية، ص: 106

[7] - نفسه، ص: 107.

[8] - ديوان محمد بن هاني الأندلسي، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2008، ص: 324.

الواضح أن الفعل"يفعل" قافية البيت ورد عنصرا مستبدلا لجملة سابقة هي"نَقَّلْتَ أَطْرافَ السّيوفِ قَطِينَهَا" ولنا أن نتصور ما عسى أن يصير إليه شكل البيت- في غياب هذا العنصر الاستبدالي- من تكرار ممل يفسد الذائقة الفنية قبل أن يخترق أصول بناء القصيدة الشعرية.

3. **استبدال قولي:**

ويعرف أيضا بالتركيبي والجملي وهو استبدال جملة أو عبارة بكاملها باستعمال أدوات منها: (كذلك، أيضا، لا، نعم، أجل، أمر، قول...) ويتم عبر"إحلال عنصر لغوي محل عبارة داخل النص بشرط أن يتضمن العنصر المستبدل به محتوى العبارة المستبدل منها.ففي قوله تعالى :﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ** ﴾هود 40 (9).

فكلمة "أمر" حلت محل ما جاء في الآية السابقة ﴿فسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ هود 39.

هناك تداخل بين الاستبدال والإحالة إلى الحد الذي تبدو فيه الإحالة ضربا من الاستبدال، إلا أن الباحثَيْن هاليدي ورقية حسن يَرَيَان أن الاستبدال "علاقة تتم في المستوى المعجمي/ النحوي بين كلمات أو عبارات، بينما الإحالة علاقة معنوية تتم في المستوى الدلالي"[10]

تتجلى قيمة الاستبدال من حيث هو أداة اتساق تسهم في الربط بين أجزاء النص عبر تلك "العلاقة بين العنصرين المستبدِل والمستبدَل، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وبين عنصر لاحق فيه، ومن ثم يمكن الحديث عن الاستمرارية (أي وجود العنصر المستبدَل، بشكل ما، في الجمل اللاحقة) [11] هذه الاستمرارية يؤكدها ذلك التفاعل بين النص ومتلقيه، فالعناصر المستبدِلة لا يمكن تأويلها إلا بالعودة إلى ما هي متعلقة به قبليا [12] وهو ما يستدعي حضور النص السابق لتأويل العناصر المستحدثة اعتمادا على ثقافة المتلقي وكفاءته.

---

[9] - عادل متّاع، نحو النص اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية، ص: 108.

[10] - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 19.

[11] - نفسه، ص: 20.

[12] - نفسه ، ص: 20